تهذيب الداء والدواء

محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وفق من شاء لهدايته ، وأبان لسالكين طريق جنتـه ، وحـذر السـائرين أسـباب نقمتـه ، والصـلاة والسـلام علـى مـن جـاء بالأدويـة الشافية ، والأجوبة الكافية ، فما مات [illegible]

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] .

منهج هذا التهذيب

حرصت في هذا التهذيب على تخليص الكتاب من الاستطرادات التي استرسل فيها المؤلف ، والتي تقطع على القارئ استرساله واندماجه القلبي مع المعاني الوعظية ، فحذفت الاستطرادات الفقهية،وبعض القضايا العقدية ،والآثار الإسرائيلية،والأحاديث الضعيفة [1]، والمعاني المكررة ،وكنت أحذف أحيانا لمجرد الاختصار في مواضع التطويل .

وقد حرصت على أن يكون الكتاب بأسلوب مؤلفه وألا أدخل عليه شيئا وإن اضطررت إلى ذلك وضعته بين قوسين ، وقد وضعت عناوين جانبية جعلتها بين قوسين [ ] توضح للقارئ المعاني الأساسية ، وقد زاد هذا الوضوح بعض تقديم وتأخير لجأت إليه ومناقلات من موضع إلى موضع،جمعت المعاني المتماثلة في مكان واحد [2].

وقمت بتخريج أحاديث الكتاب وبعض الآثار الواردة عن السلف الصالح، وبيان درجة كل حديث ، وقد استفدت كثيراً من تحقيق الأستاذ عامر بن علي بن ياسين لكتاب الجواب الكافي ، وكذا استفدت منه العناوين الجانبية التي وضعها للتوضيح وهذا في الغالب ـ فجزاه الله عني خيرا ـ .

---

[1] () واعتمدت في هذا على كلام العلماء في التصحيح والتضعيف .

[2] () وفي موطن واحد أضفت كلاما لابن القيم ـ رحمه الله ـ استقيته من كتابه زاد المعاد .

وهكذا فإني أظن أن كتاب (الجواب الكافي) الذي تعثر الكثير من شبابنا في قراءته والاستفادة منه ؛ قد أصبح بهذا التهذيب والترتيب ، كتابا لطيفا سلسا قريبا من الجميع ، وصار أهلا أن أقدمه ليقرأ على مجموعات الشباب في المكتبات الخيرية ، والمراكز الصيفية ، والرحلات الخلوية ،كما أنه يعتبر موردا رئيسا ، ورافدا ثريا يعين الواعظ ، وخطيب الجمعة ، وإمام المسجد .

ووصيتي للمربين ـ خاصة ـ أن يقرؤوه مرة ، بعد مرة ..وأن يحفظوا المهم من سطوره ، وشواهده من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ،فإنهم إن فعلوا ذلك ، استطاعوا ـ بإذن الله تعالى ـ معالجة الكثير من الأمراض التي يعاني منها شبابنا ، ويجيبوا على أسئلة الحائرين منهم وكان لهم من التأثير الشيء العظيم .

وأخيراً..فقد بذلت جهدي ، وأفرغت وسعي وأرجو أن أكون قد وفقت لأقدم للمكتبة الإسلامية شيئا جديدا ينفع الله به الأمة ، كما إني لا أنسى في نهاية المطاف أن أشكر زوجتي ـ أم عبدالله ـ حيث إنها قد ساعدتني في تهيئة الجو المناسب للبحث والمطالعة ؛ فلها مني الدعوات الصالحات،وأشكر الأخوة الذين أتحفوني بتنبيهاتهم التي هي محل التقدير والاهتمام .

وإني آمل من الجميع إبداء النصيحة لأخيهم فالخطأ والتقصير وارد والمعصوم من عصمه الله ، ورحم الله رجلا أهدى إليّ عيوبي وستر عليّ عواري اسأل المولى القدير أن ينفع بهذا التهذيب كاتبه وقارئه وأن يجعله حجة لنا لا علينا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكـتـبه

محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان

مدرس العلوم الشرعية بثانوية الأندلس

ص .ب 120969 الرمز : 11689

البريد الإلكتروني

alhabdan@email.com

جوال : 055203538

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين .

[بيان سبب تأليف الكتاب]

سئل الشيخ العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

ما تقول : في رجل ابتلى ببلية [1] وعلم أنها إن استمرت به أفسدت دنياه وآخرته وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق فما يزداد إلا توقداً وشدة فما الحيلة في دفعها ؟ وما الطريق إلى كشفها ؟ فرحم الله من أعان مبتلى .والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه أفتونا مأجورين .

فكتب الشيخ رحمه الله الجواب :

[بيان أن الله لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء]

الحمد لله ؛ أما بعد : فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي [illegible] [2]

[illegible] [3]

[illegible] [4]

فصل

[الدعاء من أنفع الأدوية]

والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ؛ ويعالجه ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن . وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله [illegible] [4] .

فصل

[استعجال الاستجابة يفوت أثر الدعاء]

---

[1] () لم يبين السائل ولا المؤلف ما هذه البلية التي وقع فيها هل هي داء العشق ؟ أم داء اللواط ؟ والذي يظهر من صنيع الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ أنه لم يخصص هذا أو ذاك بل جعل كلامه على داء الشهوة والتي يدخل فيها مرض العشق واللواط وغيرها من الأمراض ـ عافنا الله وإياكم من ذلك . فتكلم على الجميع والله أعلم .

[2] () أخرجه : البخاري (5678) .

[3] () أخرجه : مسلم (2204) .

[4] () أخرجه : الحاكم (1/492) وصححه . وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (7739) .

ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الـدعاء عليـه : أن يسـتعجل العبـد ، ويستبطئ الإجابة ،فيستحسر ، ويدع الدعاء ..وفى البخـاري مـن حـديث أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :" يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي "[5]

فصل

[متى يستجاب الدعاء ؟]

إذا جمع مع الدعاء :

ـ حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب .

ـ وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي : الثلث الأخير من الليـل ، وعنـد الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر من ذلـك اليوم .

ـ **وصادف** :خشوعاً في القلـب وانكسـاراً بيـن يـدي الـرب وذلاً لـه وتضـرعا ورقة.

ـ واستقبل الداعي القبلة .

ـ وكان على طهارة .

ـ ورفع يديه إلى الله تعالى .

ـ وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده .

ـ ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار .

ـ ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده .

ـ وقدم بين يدي دعائه صدقة .

فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً .

فصـل

[هل لمرض الشهوة علاج ؟]

فإن قيل مع هذا كله ؛ فهل من دواء لهذا الداء العضال ،ورقية لهذا السحر القتال ؟

وما الاحتيال لدفع هذا الخبال ؟

وهل من طريق قاصد إلى التوفيق ؟

وهل يمكن السكران بخمرة الهوى أن يُفيق ؟

وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل إلى سويدائه ؟

وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سويدائه ؟

وهو إن لامه لائم ؛ التذ بملامه لذكره لمحبوبه ،وإن عذله عاذل ؛ أغراه عذله وسار به في طريق مطلوبه .

[علاج مرض الشهوة]

---

[5] () أخرجه : البخاري (6340) .

قيل : نعم .
الجواب من أصل :" ما أنزل الله من داء ؛ إلا جعل له دواء ؛ علمه من علمه وجهله من جهلة " [1]
والكلام في دواء هذا الداء من طريقين :
أحدهما : حسم مادته قبل حصولها .
والثاني : قلعها بعد نزولها .
وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ، ومتعذر على من لم يعنه الله ؛ فإن أزمة الأمور بيديه .

[التدابير العملية الواقية من مرض الشهوة]

وأما الطريق المانع من حصول هذا الداء [فهي ثلاثة أمور] :

[illegible]

[illegible]

[illegible] [2]

[illegible] [3].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] () أخرجه : أحمد (4/278) من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة (451) .

[2] () أخرجه : أبو داود (2148) والترمذي (2776) وأحمد (5/353) وقد حسنه الألباني في جلباب المرأة المسلمة ص 77 .

[3] () أخرجه : البخاري (2465) ومسلم (2121) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[1] () الجَوْس : طلب الشيء باستقصاء ، والتردد والطواف خلال البيوت والدور في الغارة .

[2] () الحِنْدس : الظلمة ، والليل المظلم .

[3] () انظر : حلية الأولياء (10/237) .

[4] () انظر : حلية الأولياء (10/237) .

[illegible]

[1] ( ) انظر : الحلية (2/149) . والطقطقة : صوت حوافر البغال . والهملجة : الانقياد والذل . والبراذين : الدواب .

[2] ( ) أخرجه : أبو داود (1425) والترمذي (464) والنسائي (1744) وابن ماجه (1178) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .قال الترمذي : هذا حديث حسن . وصححه أحمد شاكر والألباني .

[3] ( ) أخرجه : البخاري (7047) ومسلم (2275) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

فصل

[بين سلطان الشهوة وسلطان العقل والإيمان]

إن العبد لا يترك ما يحب ويهواه إلا لما يحبه ويهواه ، ولكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة ، كما أنه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته أقوى عنده من كراهة ما يفعله ،أو لخلاص من مكروه كراهته عنده أقوى من كراهة ما يفعله .

وخاصية العقل إيثار أعلى المحبوبين على أدناهما ، وأيسر المكروهين على أقواهما . وهذا من كمال قوة الحب والبغض .

ولا يتم له هذا إلا بأمرين : قوة الإدراك ، وشجاعة القلب .
فإن التخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون : إما لضعف الإدراك ؛بحيث إنه لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه ،و إما لضعف في النفس وعجز في القلب ؛ بحيث لا يطاوعه إيثار الأصلح له مع علمه بأنه الأصلح .
فإذا صح إدراكه وقويت نفسه وتشجع القلب على إيثار المحبوب الأعلى والمكروه الأدنى فقد وُفِّق لأسباب السعادة .
فمن الناس من يكون سلطان شهوته أقوى من سلطان عقله وإيمانه ،فيقهر الغالب الضعيف .
ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أقوى من سلطان شهوته .
وإذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره ،فتأبى عليه نفسه وشهوته إلا تناوله ،ويقدم شهوته على عقله ،وتسميه الأطباء : عديم المروءة ؛ فهكذا أكثر مرضى القلوب ؛ يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له .
فأصل الشر من ضعف الإدراك ، وضعف النفس ودناءتها ، **وأصل الخير** من كمال الإدراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها .
فالحب والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه ،والبغض والكراهة أصل كل ترك ومبدأه ، وهاتان القوتان في القلب أصل سعادته وشقاوته .

فصل
[الطريق الأنفع للوصول إلى السعادة]
وكل واحد من الفعل والترك الاختياريين إنما يؤثره الحي لما فيه مـن حصـول المنفعة التي يلتذ بحصولها أو زوال الألم الذي يحصل له الشفاء بزواله ،ولهذا يقال:شفاء صدره وشفاء قلبه، وقال :
هي الشفاءُ لدائي لو ظفرتُ بها وليس منها شفاءُ الداءِ مبذولُ
وهذا مطلوب يؤثره العاقل ، حتى الحيوان البهيم ،ولكن يغلط فيه أكثر الناس غلطا قبيحا ، فيقصد حصول اللذة بما يعقب عليه أعظم الألم ،فيؤلم نفسه من حيث يظن أنه يحصل لذتها ، ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض .
وهذا شأن من قصر نظره على العاجل ولم يلاحظ العواقب .
وخاصّة العقل النظر في العواقب : **فأعقل الناس** من آثر لذته وراحته الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة ، **وأسفه الخلق** من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ،ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء .
قال بعض العلماء : فكرت في سعي العقلاء ، فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد ،وإن اختلفت طرقهم في تحصيله ،رأيتهم جميعاً إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم ؛ فهذا في الأكل والشرب ،وهذا بالتجارة والكسب ،وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة ،وهذا باللهو واللعب ، فقلت : هذا المطلوب مطلوب العقلاء ، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه ، بل لعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده ، ولم أر في جميع هذه

(1)

الطرق كلها طريقا موصلةً إليه إلا الإقبال على الله ومعاملته وحده وإيثار مرضاته على كل شيء ،**فإن سالك هذا الطريق** :
إن فاته حظه من الدنيا ؛فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه .
وإن حصل للعبد ؛حصل له كل شيء ،وإن فاته؛ فاته كل شيء ، وإن ظفر بحظه من الدنيا ؛ ناله على أهنأ الوجوه ، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق ،ولا أوصل منها إلى لذاته وبهجته وسعادته .وبالله التوفيق .

فـصل

[عشق الصور وأضراره]

[هذا] الفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة ، وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاكر ؛ فإنه يفسد القلب بالذات ، وإذا فسد فسدت الإرادات والأقوال والأعمال ، وفسد ثغر التوحيد .
والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس ،وهم : اللوطية، والنساء .

[illegible] [[illegible] : [illegible]][1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible] : [illegible]

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

---

1 () هذا العنوان من المختصر .

فـصل

والطائفة الثانية الذين حكى الله عنهم العشق هم : اللوطية .

كما قال تعالى : [عظم داء العشق وأقسام أصحابه]

وهذا داء أعي الأطباء دواؤه ،وعز عليهم شفاؤه ،وهو لعمر الله الداء العضال والسم القتال ، الذي ما علق بقلب ؛ إلا وعزَّ على الورى استنقاذه من إسارِه ، ولا اشتعلت ناره في مهجة ؛ إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره .

(1)

وهو أقسام :

تارة يكون كفرا ، كمن اتخذ معشوقه ندا ، يحبه كما يحـب اللـه ؛فكيـف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه **؟** فهذا عشق لا يغفر لصاحبه ؛ فإنه من أعظم الشرك ،والله لا يغفر أن يشرك به ،وإنما يغفر بالتوبـة الماحيـة مـا دون ذلك .

وعلامة هذا العشق الشركي الكفري : أن يقدم العاشق رضى معشوقه على رضى ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه و حظه وحق ربه وطاعته؛ قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه ، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه ـ إن بذل ـ أردأ ما عنده ،واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه ، وجعل لربه ـ إن أطاعه ـ الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته .

فتأمل حال أكثر عشاق الصور ؛هل تجدها إلا مطابقة لذلك ؟! ثـم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة،ثم زن وزنـا يرضـى اللـه بـه ورسوله ويطابق العدل! وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشـوقه أحـب إليه من توحيد ربه كما قال الفاسق الخبيث [1]:

يَتَرشفْنَ مِنْ فَمي رَشَفاتٍ هُنَّ أحْلى فيه مِنَ التَّوحيدِ

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه ـ فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان ـ ومن هذا الحال قال الشاعر :

وصلُكَ أشهى إلى فؤادي منْ رحمةِ الخالقِ الجليلِ

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك .

وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة ،بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله ، فصار عبداً مخلصا من كل وجه لمعشوقه ! فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية المخلوق مثله ؛ **فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع** ،وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه؛ فقد أعطاه حقيقة العبودية .

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة ؛ فإن تلك ذنب كبير لفاعله حكمه حكم أمثاله ، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك !

وكان بعض الشيوخ يقول : لئن أُبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إليّ من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله .

فصل

[علاج العشق]

ودواء هذا الداء القتال :

أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله ، فعليه :

أن يعرف توحيد ربه و سننه وآياته أولاً .

ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بم يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه .

---

[1] () هو أبو الطيب المتنبي !! والبيت في ديوانه (2/40) .

(1
ويكثر اللَّجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يرجع بقلبه إليه.
وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله .
وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال :

1)

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

فــصل

[مقامات العاشق ، ومراحل العشق]

والعاشق له ثلاث مقامات : مقام ابتداء، ومقام توسط ، ومقام انتهاء .

فأما مقام ابتدائه : فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرا قدراً وشرعا .

فإن عجز عن ذلك وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه **وهذا مقام التوسط والانتهاء** :

فعليه كتمانه ذلك ، وأن لا يفشيه إلى الخلق ،ولا يُشبِّب بمحبوبه ويهتكه بين الناس، فيجمع بين الشرك والظلم .

[ألوان الظلم التي يسببها العـشق]

فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم ،وربما كان أعظم ضرراً على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله ؛ فإنه يعرض المعشوق ـ بهتكه في عشقه ـ إلى وقوع الناس فيه وانقسامهم إلى مصدق ومكذب ،وأكثر الناس يصدق في هذا الباب بأدنى شبهة ،وإذا قيل : فلان فعل بفلان أو بفلانه ؛كذَّبه واحد وصدقه تسع مائة وتسعة وتسعون .

وخبر العاشق المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني ،بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه كذباً وافتراءً على غيره ؛ جزموا بصدقة جزما لا يحتمل النقيض ، بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا ؛لجزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما ،وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخيّل والشبهة والأوهام والأخبار الكاذبة ؛كجزمهم بالحسيات المشاهدة .

وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة ، حبيبة رسول الله ﷺ [illegible] .[2]

---

[1] () الوكاء : رباط القربة ونحوها . وهذا مثل يضرب لمن يجنى على نفسه بفعله . انظر مجمع الأمثال (2/414) للميداني .

[2] () انظر : قصة الإفك في صحيح البخاري (2661) ومسلم (2770) .

[1] () أخرجه : الترمذي (1336) وأحمد (2/387) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد صحح الألباني هذا الحديث دون زيادة " الرائش " انظر : السلسلة الضعيفة (3/381) وإرواء الغليل (8/243) .

[2] () طلّ دمه يطل : أُهدر ؛ فلا يُثأر له .

[3] () خُبّبت : خدعت وأفسدت .

[4] () أخرجه :أبو داود (5170) وأحمد (2/397) وابن حبان (568) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] () يستام على سوم أخيه : هو أن يتجادل المتبايعان في ثمن سلعة ، حتى إذا قاربا الاتفاق ؛ جاء رجل ثالث يريد أن يشتري السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر عليه الأمر بين المتساومين ورضيا به قبل الانعقاد .

[6] () أخرجه مسلم (1408) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[7] () أخرجه : مسلم (1897) من حديث بريدة رضي الله عنه .

[8] () أخرجه : البخاري (5984) ومسلم (2556) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .

[9] () أخرجه : البخاري (6016) ومسلم (46) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

2)

.

.

:

:

.

.

.

[illegible]

[التدابير العملية التي تقي من الإصابة بداء العشق]

فعلى العاقل أن يحكم على نفسه سد عشق الصور لئلا يؤذيه ويؤديه ذلك إلى الهلاك وإلى هذه المفاسد وأكثرها أو بعضها ؛ فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمغرر بها ،فإذا هلكت فهو الذي أهلكها ؛ **فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه** وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه :

فإن أول أسباب العشق الاستحسان سواء تولد عن نظر أو سماع .

فإن لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الإياس من ذلك ؛لم يحدث له العشق .

فإن اقترن به الطمع :

فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له ذلك .

فإن أطال مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق ،**وقارنه خوف ما هو أكبر** عنده من لذة وصاله : إما خوف ديني ؛كخوف النار وغضب الجبار واجتناب الأوزار ،وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر ؛لم يحدث له ذلك العشق .

فإن فاته هذا الخوف وقارنه خوف دنيوي ؛كخوف إتلاف نفسه أو ماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق ؛دفعه ،وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه وأنفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق ؛ اندفع عنه العشق .

فإذا انتفى ذلك كله ، و غلبت محبة المعشوق لذلك ؛ انجذب إليه القلب بكليته ،ومالت إليه النفس كل الميل .

[العشق بين المنافع والمضار]

فإن قيل : قد ذكرتم آفات العشق ومضاره ومفاسده ، فهلا ذكرتم منافعه وفوائده ؟

فالجواب وبالله التوفيق :

إن الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التمييز بين الحرام والجائز والنافع والضار، ولا يستعجل عليه بالذم والإنكار ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة ،وإنما يتبين حكمه وينكشف أمره بذكر متعلقه ،وإلا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم.

ونحن نذكر النافع من الحب ، والضار ، والجائز ، والحرام :

---

[1] () أي : يكون ديوثا يقر الخبث في أهله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

[أنواع المحبة]

هاهنا أربعة أنواعٍ من المحبة يجب التفريق بينها ، وإنما ضلّ من ضلّ بعدم التمييزٍ بينها :

أحدهما : محبة الله ؛ ولا تكفي وحدها في النجاة من الله من عذابه والفوز بثوابه؛ فإن المشركين وعبَّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله .

الثاني : محبة ما يحب الله ؛ وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها .

الثالث : الحب لله وفيه ؛ وهي من لوازم محبة ما يحب الله ، ولا يستقيم محبّة ما يحب الله إلا بالحب فيه وله .

الرابع : المحبة مع الله ؛ وهي المحبة الشركية ، وكل من أحبّ شيئاً مع الله ،لا لله ، ولا من أجله ، ولا فيه ، فقد اتخذه نداً من دون الله ،وهذه محبة المشركين .

وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهى المحبة الطبيعية :

وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه ؛كمحبة العطشان للماء ،والجائع للطعام ،ومحبة النوم والزوجة والولد؛ **فتلك لا تذم إلا إذا ألهتْ عن ذكر الله وشغلت عن محبته** ،كما قال تعالى [ ] [ ].

[أعظم أنواع المحبة وأنفعها هي محبة الله تعالى]

واعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلة القلوب على محبته وفطرت الخليقة على تألهه ،وبها قامت الأرض والسموات ،وعليها فطر المخلوقات، وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل له والخضوع والتعبد ، والعبادة لا تصح إلا له وحده ، **والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل** ، والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله ، **والله سبحانه يُحب لذاته من سائر الوجوه ،وما سواه فإنما يحب تبعا لمحبته** .

وقد دل على وجوب محبته سبحانه :جميع كتبه المنزلة،ودعوة جميع رسله أجمعين ، وفطرته التي فطر عليها عباده ، وما ركب فيها من العقول ، وما أسبغ عليهم من النعم ، **فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها ؛ فكيف بمن كل الإحسان منه ، وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له** كما قال تعالى: [ ] [ ] .

[illegible] [illegible] : [illegible] .

[1] () أخرجه البخاري (15) ومسلم (44) من حديث أنس رضي الله عنه .
[2] () أخرجه البخاري (6632) من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه .

1 () أخرجه : البخاري (1145) ومسلم (758) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

2 () أخرجه : البخاري (5999) ومسلم (2754) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

3 () أخرجه : البخاري (6308) ومسلم (2744) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

فــصل

[نعيم القلب والروح تبع لكمال المحبوب وكمال المحبة]

وهاهنا أمر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به ،وهو أن كمال اللذة والسرور والفرح ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرين :

أحدهـمـا : كمال المحبوب في نفسه وجماله ،وأنه أولى بإيثـار المحبـة مـن كل ما سواه .

والأمر الثاني : كمـال محبتـه ، واسـتفراغ الوسـع فـي حُبـه ، وإيثـار قربـه والوصول إليه على كل شيء .

وكل عاقل يعلم أن اللـذة بحصـول المحبـوب بحسـب قـوته ومحبتـه ، فكلمـا كانت المحبة أقوى ؛كانت لذة المحب أكمل ، فلذة مـن اشـتد ظمـؤه بـإدراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه بأكل الطعام الشهيّ ونظائر ذلـك علـى حسـب شوقه وشدة إرادته ومحبته .

وإذا عُرِف هذا ؛ فاللذة والسرور والفرح أمر مطلـوب فـي نفسـه ، بـل هـو مقصود كل حي وعاقل .

وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها ؛ **فهي تذم** إذا أعقبت ألـماً أعظمَ منهـا ، أو منعـت لـذةً خيـراً منهـا وأجـلَّ ؛ **فكيف إذا أعقبـتْ أعظـم الحسـرات** ، وفوتت أعظم اللـذات والمسـرات ؟! **وتُحمدُ** إذا أعـانت علـى لـذةٍ عظيمـة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكدَ بـوجه مـا ، وهـي لـذة الآخـرة ونعيمُهـا ، وطيب العيش فيها، قال تعالى: [الواقعة :١٠-١٢] . [الواقعة :٢٢-٢٤] .

وهذه اللذة هي التي أخبر الله أنها لا تحصل إلا بعد دخول الجنة ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الموت ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الحساب والمرور على الصراط ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الخلود في النار ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الخروج من النار ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الشفاعة ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الميزان ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الحوض ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الصراط ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الجنة ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد النار ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الخلود في الجنة ، وهي التي أخبر أنها لا تحصل إلا بعد الخلود في النار .

---

1 () أي : إدراك كيفية صفاته سبحانه وتعالى .

2 () سُبُحات وجهه : أنواره .

3 () كما جاء في حديث عند مسلم (179) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(2)

[أنواع لذات الدنيا]

[1] () أخرجه : مسلم (181) من حديث صهيب رضي الله عنه .

[2] () أخرجه : النسائي (1304) وأحمد (4/264) وصححه الألباني في الكلم الطيب ص 65-66 .

فصل

[بعض أنواع المحبة التي فيها منافع العشق ومزاياه]

فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو أحد أنواع الحب،وكـذلك حـب رسـول اللـه

---

[1] () أخرجه : أبو داود (2513) والترمذي (1673) والنسائي (3146) وأحمد (4/114) من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

فـصل

[لا تثريب في حب النساء إن كان بالوجه الشرعي]

وأما محبة الزوجات : فلا لوم على المحب فيها ، بل هي من كماله .

وقد امتنَّ الله سبحانه بها على عباده فقال :

---

1 () أخرجه : أحمد في الزهد ص 159 .

2 () أخرجه : البخاري (4582) ومسلم (800) .

3 () أخرجه : أبو نعيم في الحلية (1/258) .

[illegible]

[أقسام عشق النساء]

فعشق النساء ثلاث أقسام :

قسم هو قربة وطاعة : وهو عشق الرجل امرأته وجاريته ، وهذا العشق نافع فإنه ادعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح ، واكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله ، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس .

وعشق هو مقت عند الله وبعد من رحمته ، **وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه** ، **وهو عشق المردان** ؛ **فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله ،وطرد عن بابه ، وأبعد قلبه عنه ،** وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله ؛كما قال بعض السلف : إذا سقط العبد من عين الله ؛ ابتلاه بمحبة المردان .

---

[1] () أخرجه : مسلم (1403) .

[2] () أخرجه : ابن ماجه (1847) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ورقمه (625) .

[3] () أخرجه : النسائي (3949) وأحمد (3/128-199-285) وحسن إسناده ابن حجر في التلخيص (3/116) وتابعه الألباني في تخريج المشكاة (3/1448-2561) .

[4] () أخرجه : البخاري (3662) ومسلم (2384) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

[5] () أخرجه : البخاري (3816) ومسلم (2435) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت ،فما أوتوا إلا من هذا العشق قال الله تعالى : [illegible].

[illegible] .

[illegible] .

[illegible] .

فصل

[أقسام العشاق]

والعشاق ثلاثة أقسام :

منهم : من يعشق الجمال المطلق .

ومنهم : من يعشق الجمال المقيد ؛ سواء طمع بوصاله أو لا .

ومنهم : من لا يعشق إلا من يطمع في وصاله .

وبين هذه الأنواع الثلاثة تفاوتٌ في القوة والضعف .

فعاشق الجمال المطلق : يهيم قلبه في كل وادٍ، وله في كل صورة جميلة مراد ..فهذا عشقه أوسع ، ولكنه غير ثابت كثير التنقل :

يَهيمُ بهذا ثُمَّ يَعْشَقُ غَيْرَهُ وبَسلاهُمُ منْ وقتهِ حينَ يُصبحُ

وعاشق الجمال المقيد : أثبت على معشوقهِ وأدوم محبة له ،ومحبته أقوى من محبة الأول ؛ لاجتماعهما في واحد ،ولكنْ يضعفهما عدم الطمع في الوصال .

وعاشق الجمال الذي يُطْمُع في وصاله أعقل العشاق وأعرفهم ، وحبه أقوى ؛لأن الطمع يمده ويقوِّيه .

فصل

[بيان أن خبر : " من عشق فعف .." موضوع]

[ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله [illegible] .

[illegible] .

[illegible] :

---

[1] () أخرجه ابن حبان في المجروحين (1/349) وانظر : السلسلة الضعيفة (1/587) .

(3

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] .

[illegible]!

[illegible] .

[illegible]!

[illegible] .

[illegible] ([illegible]) [illegible] .

[illegible]!

[illegible]!

[illegible]!

[illegible]!

[illegible] [1] [illegible] .

[illegible]

[1] () هذا المقطع أخذته من كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد (4/275) لأهميته .

فصل

[عظيم مفسدة اللواط وشدة فحشه]

ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات .

فذهب جمهور الأمة وحكاه غير واحد إجماعاً للصحابة : ليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة اللواط وهى تلي مفسدة الكفر ،وربما كانت أعظم من مفسدة القتل .

قالوا : ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحداً من العالمين . وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أمة غيرهم ،وجمع عليهم أنواعا من العقوبات من الإهلاك ، وقلب ديارهم عليهم ،والخسف بهم ، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم، وعذبهم وجعل عذابهم مستمرا ، فنكل بهم نكالا لم ينكله بأمة سواهم .

وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة ، التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها ، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شهدوها خشية نزول العذاب على أهلها فيصيبهم معهم ،وتعج الأرض إلى ربها تبارك وتعالى ، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها .

ولأن يُقتلَ المفعول به خيرٌ له من أن يؤتى ؛ فإنه إذا وطأه الرجل ؛ قتله قتلا لا ترجى الحياة معه ؛ فإنه يفسد فساداً لا يُرجى له بعده صلاح أبدا ،ويذهب خيره كله ،وتمص الأرض ماء الحياء من وجهه ،فلا يستحي بعد ذلك من الله ولا من خلقه ، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن ؛ بخلاف قتله؛ فإنه مظلوم شهيد ،وربما ينتفع به في آخرته .

[بيان عقوبة اللوطي]

[عقوبة اللوطي القتل حدا] ؛ كما أجمع عليه أصحاب رسول الله [illegible]

---

[1]() أخرجه : ابن أبي الدنيا ،ومن طريقه البيهقي في السنن (8/232) وجود إسناده المنذري في الترغيب (3/251) .

[2]() أخرجه : ابن أبي شيبة في المصنف (5/493) .

[illegible]

() أخرجه : أبو داود (4462) والترمذي (1456) وابن ماجه (2561) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الحاكم والذهبي والألباني في الإرواء (8/16) .[1]

() أخرجه : أحمد (1/309) وابن حبان (4417) والحاكم (4/356) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الحاكم وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ص 203 .[2]

[illegible]

[illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]] .

[illegible] !

[illegible] [illegible]] : [[illegible] .

[illegible] [[illegible]: [illegible]] .

[illegible] [[illegible]: [illegible]] .

[illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]]

[illegible] .

[illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]] .

[illegible] [[illegible]: [illegible]] [illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]] [illegible] [[illegible]: [illegible]] ! [illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]] [illegible] [[illegible]: [illegible]] [illegible] [[illegible]: [illegible]] . [illegible] : [illegible] . [illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]].

[illegible] : [illegible] [[illegible]: [illegible]] .

[illegible] . [illegible] . [illegible] [[illegible]–[illegible]: [illegible]] .

[توبة اللوطي هل تقبل ؟]

وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به ؟

التحقيق في هذه المسألة أن يقال : إنْ تاب المبتلى بهذا البلاء وأناب ، ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا ،وكان في كبره خيراً منه في صغره ،وبدل سيئاته بحسنات، وغسلَ عار ذلك عنه بأنواع الطاعات والقربات ،وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات ،وصدق الله في معاملته ؛فهذا مغفور له ،وهو من أهل الجنة ؛فإن الله يغفر الذنوب جميعا .

وإذا كانت التوبة تمحو كلَّ ذنب ، حتى الشرك بالله وقتل أنبيائه وأوليائه والسحر والكفر وغير ذلك ؛ فلا تَقْصُرُ عن مَحْو هذا الذنب .

وقد استقرت حكمة الله به عدلاً وفضلاً أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقد ضَمِنَ الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنى أنه يُبدِّلُ سيئاته حسنات ، وهذا حكم عام لكل تائب من ذنب .

وقد قال تعالى : [redacted]

[فصل]

[حرمة الزنى]

(3)

[بين]سبحانه حرمت [الزنى] بقوله : [illegible]

فصل

[عظم مفسدة الزنى]

مفسدة الزنى من أعظم المفاسد ، وهى منافية لمصلحة نظام العالم في: حفظ الأنساب ، وحماية الفروج ، وصيانة الحرمات ، وتوقى ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمه، وفى ذلك خراب العالم .

فإن المرأة إذا زنت ؛ أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رؤسهم بين الناس .

وإن حملت من الزنى : فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنى والقتل ، وإن حملته على الزوج ؛ أدخلت على أهله وأهلها أجنبيا ليس منهم ، فورثهم وليس منهم ، ورآهم وخلا بهم ، وانتسب إليهم وليس منهم .. إلى غير ذلك من مفاسد زناها .

وأما زنا الرجل :

فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضا .

وإفساد المرأة المصونة ، وتعريضها للتلف والفساد .

ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين وإن عمرت القبور في البرزخ والنار في الآخرة ، فكم في الزنى من استحلال محرمات ،وفوات حقوق، ووقوع مظالم !!

ومن خاصيته أنه:يوجب الفقر ، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه، وثوب المقت بين الناس .

ومن خاصيته أيضا : أنه يشتت القلب ، ويمرضه إن لم يُمته ،ويجلب الهم والحزن والخوف ،ويباعد صاحبه من الملك ،ويقربه من الشيطان .

فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته ،ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها .

ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمته قتلت ؛كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت . وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح [1]فبلغ ذلك رسول الله [illegible]

[illegible]

فصل

[التشديد والتشنيع في حد الزنى وأسبابه]

وخص سبحانه حد الزنا من بين سائر الحدود بثلاث خصائص :

---

1 () يعني : بحده لا بصحفته .

2 () أخرجه : البخاري (6846) ومسلم (1499) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

3 () أخرجه : البخاري (5223) ومسلم (2761) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

4 () أخرجه : البخاري (1044) ومسلم (901) من حديث عائشة رضي الله عنها .

5 () أخرجه : البخاري (80-81) ومسلم (2671) .

6 () أخرجه : أبو يعلى في المسند (4981) قال الهيثمي في المجمع (4/121) والمنذري في الترغيب (2/621) روه أبو يعلى ، وإسناده جيد " والحديث بمجموع طرقه لا ينزل عن رتبة الحسن ، وقد حسنه الألباني في غاية المرام ص 203 رقم 344 .

(3 ،2
أحدها :القتل فيه بأشنع القتلات ، وحيث خففه ؛فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة .
الثاني : أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة في دينه ؛بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم ؛ فإنه سبحانه من رأفته بهم ورحمته بهم شرع هذه العقوبة ؛ فهو أرحم منكم بهم ، ولم تمنعه رحمته من أمره بهذه العقوبة ؛ فلا يمنعكم أنتم ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من إقامة أمره .
وهذا ؛ وإن كان عاما في سائر الحدود ، ولكنْ ذُكِرَ في حد الزنى خاصة لشدة الحاجة إلى ذكره ؛ فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر ،فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم ،والواقع شاهد بذلك ، فنهوا أن تأخذهم هذه الرأفة وتحملهم على تعطيل حد الله عز وجل .
وسبب هذه الرحمة :أن هذا ذنبٌ يقع من الإشراف والأوساط والأراذل ،وفي النفوس أقوى الدواعي إليه ،والمشارك فيه كثير ، وأكثر أسبابه العشق ،والقلوب مجبولة على رحمة العاشق ، وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة ،وإن كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه .
ولا يُسْتَنكَرُ هذا الأمر ؛ فهو مستقر عند من شاء الله من أشباه الأنعام .
ولقد حُكِيَ لنا من ذلك شيءٍ كثير عن ناقصي العقول ؛كالخدام والنساء .
وأيضاً : فإن هذا ذنبٌ غالباً ما يقع مع التراضي من الجانبين ؛فلا يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه ، وفيها [1]شهوة غالبة له ، فيُصور ذلك لها ، فتقوم بها رحمة تمنع إقامة الحد .
وهذا كله من ضعف الإيمان .
وكمال الإيمان أن تقوم به قُوةٌ يُقيم بها أمر الله ، ورحمةٌ يَرحم بها المحدود ، فيكون موافقاً لربه تعالى في أمره ورحمته .
الثالث : أنه سبحانه أمر أن يكون حدُّهما بمشهد من المؤمنين ،فلا يكون في خلوة بحيث لا يراهما أحد ،وذلك أبلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر .
وحدُّ الزاني المحصن : مشتق من عقوبة الله تعالى لقوم لوط بالقذف بالحجارة، وذلك لاشتراك الزنى واللواط في الفحش ، وفى كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وأمره .

[illegible]

---

1 () الضمير يعود على النفوس .

فصل
[آثار الذنوب والمعاصي]

مما ينبغي أن يعلم :
أن الذنوب والمعاصي تضر ، ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر ، وهل في الدنيا و الآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ؟!
فما الذي أخرج الأبوين من الجنة ـ دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور ـ إلى دار الآلام والأحزان والمصائب ؟
وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء ،وطرده ،ولعنه،ومسخ ظاهره وباطنه؟ **وما الذي أغرق** أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال ؟
وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى القتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ودمرت ما مر عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ؟
وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ،وماتوا عن آخرهم ؟
وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ،ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ،ولإخوانهم أمثالها ،وما هي من الظالمين ببعيد ؟
وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ،فلما صار فوق رؤسهم ؛ أمطر عليهم ناراً تلظى ؟
وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ،ثم نُقِلَت أرواحُهم إلى جهنم ؛ فالأجساد للغرق والأرواح للحرق ؟
وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله ؟
وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرا ؟
وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم ؟
وما الذي بعث على بنى إسرائيل قوماً أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال ،وسبوا الذراري والنساء ،وأحرقوا الديار ،ونهبوا الأموال ،ثم بعثهم عليهم مرة ثانية ،فاهلكوا ما قدروا عليه ،وتبروا [1]ما علو تتبيرا ؟
وما الذي سلط عليهم أنواعَ العقوبات ؛ مرةً بالقتل والسبي وخراب البلاد ،ومرة بجور الملوك ، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى [illegible]

---

1 () تَبّر : أهلك وحطّم .

[illegible]

1 () أخرجه : أحمد في الزهد ص 179 .

2 () أخرجه : أحمد (6/294) والحديث صححه الألباني في السلسلة (3/359) .

3 () أخرجه :ابن ماجه (4019) وقال الألباني بعد أن أطال في تخريج الحديث وذكر طرقه وشواهده في السلسلة (1/216) : وبالجملة ؛ فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب "

4 () أخرجه : أحمد (2/42) وأبو داود (3462) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (29/30) : وقد روى أحمد وأبو داود بإسنادين جيدين عن ابن عمر ..(فذكره) . وصححه الألباني في السلسلة (1/42) .

5 () هو : عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة 184هـ . انظر : السير (8/375) .

6 () أخرجه : أحمد (1/7) و أبو داود (4338) والترمذي (3057) وابن ماجه (4005) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

7 () أخرجه : البخاري (6492) .

8 () أخرجه : البخاري (2365) ومسلم (2242) .

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : [illegible] [1].

[illegible] : [illegible] .

[illegible] : " [illegible] "[2]

[illegible] [illegible] .

[illegible]: [illegible] [3] .

[illegible] !!

[illegible] !

[illegible] .

[illegible] :

[illegible]:[illegible] [4].

[illegible] :

[illegible] [5].

فـصل

[آثار المعاصي على العبد في دينه ودنياه وآخرته]

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضـرة بـالقلب والبـدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله :

فمنها:حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور .

---

1 () أخرجه : أحمد في الزهد ص 460 .

2 () أخرجه : الترمذي (3334) وابن ماجه (4244) وأحمد (2/297) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

3 () انظر : الحلية (2/271) .

4 () الزهد ص 168 .

5 () هو ابن الجلاء .وانظر الخبر في : صفوة الصفوة (2/443-444) . قوله :(غبّها) أي عاقبتها.

6 () أنظره في : الحلية (3/31) .

ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه ؛ أعجبه ما رأى من وفور فطنته ،وتوقد ذكائه ،وكمال فهمه ،فقال : إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية . وقال الشافعي :

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وقال أعلمْ بأنَّ العلمَ فَــضْلٌ وفضلُ اللهِ لا يُؤتاهُ عاصِ

ومنها : حرمان الرزق : فكما أن تقوى الله مجلبة للرزق ؛فتركَ التقوى مجلبةٌ للفقر ؛فما اسُتجلِبَ رزقٌ بمثل ترك المعاصي .[1]

ومنها : الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ،ولاسيما أهل الخير منهم ؛ فإنه يجد وحشة بينه وبينهم ، وكلما قويت تلك الوحشة ، بعد منهم ومِنْ مجالستهم ،وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم ، وقَرُبَ من حزب الشيطان بقدر ما بَعُدَ من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم ؛فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه،وبينه وبين نفسه ، فتراه مستوحشا من نفسه .

وقال بعض السلف : إني لأعصي الله ، فأرى ذلك في خُلق دابتي وامرأتي [2].

ومنها : تعسير أموره عليه ؛ فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه أو متعسراً عليه. وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا ؛ فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسرا .

ويالله العجب !! كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أُتي ؟!

ومنها : أن المعاصي توهن القلب والبدن :

أما وهنها للقلب؛ فأمر ظاهر ، بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية .

وأما وهنها للبدن ؛فإن المؤمن قوته من قلبه ، وكلما قوى قلبه ؛قوى بدنه .

وأما الفاجر ؛ فإنه وإن كان قوي البدن ؛ فهو أضعف شيء عند الحاجة ، فتخونه قوته عند أحوج ما يكون إلى نفسه .

وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم عند أحوج ما كانوا إليها ، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم ؟

ومنها : حرمان الطاعة ؛ فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بادية ، ويقطع طريق طاعة أخرى ،فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة .. وهلم جرا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة ،كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها. وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مرضةً طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان .

ومنها : أن المعاصي تزرع أمثالها ،وتولد بعضها بعضا ،حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها ؛كما قال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ،وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها .

فالعبد إذا عمل حسنة ؛قالت أخرى إلى جنبها : اعملني أيضا ؛ فإذا عملها ؛ قالت الثالثة كذلك ..وهلم جرا، فتضاعف الربح ،وتزايدت الحسنات ..وكذلك

---

[1] () كما في قوله تعالى : [illegible]

[2] () هو الفضيل بن عياض ؛ كما جاء في الحلية (8/109) .

كانت السيئات أيضا ..حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة ،وصفات لازمة وملكات ثابتة.
ومنها : ـ وهو من أخوفها على العبد ـ أنها تُضعف القلب عن إرادته ؛فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئا فشيئا ، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية ؛ فلو مات نصفه لما تاب إلى الله ، فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير ،وقلبه معقود بالمعصية مصرٌ عليها ،عازم على مواقعتها متي أمكنه .
وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك .
ومنها : أنه ينسلخ من القلب استقباحها ،فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه !
وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة ،حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يعلم أنه عملها ،فيقول :يا فلان !عملت كذا وكذا!! وهذا الضرب من الناس لا يعافون ،ويُسد عليهم طريق التوبة ، وتُغلق عنهم أبوابها في الغالب ،كما قال النبي ﷺ : " [illegible] "[1] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] .
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] "[2]
[illegible] : [illegible] .
[illegible] : [illegible] .

---

[1] () أخرجه : البخاري (6069) ومسلم (3990) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
[2] () أخرجه : البخاري (6308) .

[1] () انظر : الدر المنثور (6/541) .
[2] () يثلغ : يشدخ .
[3] () يتدهده : أي ينحط من علو إلى أسفل .
[4] () كلّوب : خطاف ، حديدة معوجه الرأس لتعليق الأشياء .
[5] () فيشرشر شدقه : أي يقطع جانب الفم .
[6] () اللغط : الضجيج غير المفهوم .

---

7 () ضوضوا : رفعوا أصواتهم مختلطة .
1 () المرآة : المنظر .
2 () يحش : يوقد .
3 () معتمة : كثيرة النبت غطاها الخصب .
4 () المحض : اللبن الخالص الذي لا شائبة فيه .
5 () صعدا : صاعدا في ارتفاع كثير .
6 () الربابة : السحابة .

[1] أخرجه : البخاري (7047) ومسلم (2275) .

[2] أخرجه : البخاري (6846) ومسلم (1499) .

[3] صياصي الجاموس : قرونه ، مفردها صيصة .

4)

فـصل

[العقوبات الشرعية موعظة لمن لم يتعظ بالقدرية]

فإن لم ترعك هـذه العقوبـات ، ولـم تجـد لهـا تـأثيراً فـي قلبـك ؛ فاستحضر العقوبات الشـرعية الـتي شـرعها اللـه ورسـوله علـى الجرائم :

كما قطع السارق في ثلاثة دراهم .

وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوم المال والنفس .

وشق الجلد بالسوط على كلمة قـذف بهـا المحصـن ،أو قطـرة خمـر يـدخلها جوفه.

وقتل بالحجارة أشنع قتلة فـي إيلاج الحشـفة فـي فـرج حـرام ، وخفـف هـذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الإحصان بمائة جلـدة وبنفـي سـنة عـن وطنـه وبلده إلى بلد الغربة .

وفرق بين رأس العبد وبدنه إذا وقع على ذات رَحِمٍ مُحَرَّمٍ منه ، أو ترك الصلاة المفروضة أو تكلم بكلمة كفر .
وأمر بقتل من وطئ ذكراً مثله وقتل المفعول به .
وأمر بقتل من أتى بهيمة ، وقتل البهيمة معه .
وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في الجماعة .
وغير ذلك من العقوبات التي رتبها على الجرائم ، وجعلها بحكمته على حسب الدواعي إلى تلك الجرائم ، وحسب الوازع عنها .
فعقوبات الشارع جاءت على أتم الوجوه ،وأوفقها للعقل ، وأقومها بالمصلحة .
والمقصود : أن الذنوب إنما تترتب عليها العقوبات الشرعية ،أو القدرية ،أو يجمعهما الله للعبد ، وقد يرفعهما عمن تاب وأحسن .

[سوء الخاتمة وخشية والصالحين منها]

وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين ؛وجدتهم يُحال بينهم وبين حسن الخاتمة؛ عقوبة لهم على أعمال السيئة .
فربما تعذر عليه النطق بالشهادة ؛كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل :
لبعضهم قل : لا إله إلا الله ! فقال: آه ! آه ! لا أستطيع أن أقولها !
وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله ! فقال : شاه رخ [1]،غلبنك ! ثم قضى .
وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله ! **فجعل يهذي بالغناء** ويقول تاتا ..ننتنتا ..حتى قضى !!
وقيل لآخر ذلك ، فقال :ما ينفعني ما تقول ؛ولم أدع معصية إلا ركبتها ! ثم قضى ولم يقلها !
وقيل لآخر ذلك ، فقال : وما يغني عني ؛**وما أعلم أني صليت لله تعالى صلاة** ثم قضى ولم يقلها !!!
وقيل لآخر ذلك ، فقال : هو كافر بما تقول !! وقضى !
وقيل لآخر ذلك ،فقال :كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها !!
وسبحان الله !! كم شاهد الناس من هذا عبرا ! والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم .
وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه ؛ قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده من معاصي الله ، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله، وعطل لسانه من ذكره وجوارحه عن طاعته ، فكيف الظن به عند سقوطه قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع ، وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشده عليه بجميع ما يقدر عليه ؛ لينال منه فرصته ؟! فإن ذلك

---

[1]() شاه ورخ قطعتان من قطع الشطرنج ، والمحتضر يذكرهما لأنهما أخذا عليه لبه وعقله من كثرة اللعب فنسأل الله حسن الخاتمة .

آخر العمل؛ فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت ، وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة؟! فمن ترى يسلم على ذلك ؟!

فهناك

فصل

[ترتيب الله تعالى الخير والشر على أسباب]

قـد دل العقـل والنقـل والفطـرة وتجـارب الأمـم ـ علـى اختلاف أجناسها ومللهـا ونحلهـا ــ علـى أن التقـرب إلـى رب العـالمين ، وطلب مرضاته ، والبر والإحسان إلى خلقه ؛ من أعظـم الأسـباب الجالبة لكل خير ، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبـة لكـل شـر ؛ فما استُجْلِبت نِعَمُ الله واستُدْفِعت نقمـه بمثـل طـاعته والتقـرب إليه والإحسان إلى خلقه .

وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة ،وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ..وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع: كقوله تعالى : ﴿ [سورة:]﴾.

[سورة:] .

---

1 () انظر : الحلية (7/12) .

2 () أخرجه : ابن المبارك ،وأحمد في الزهد . انظر : الدر المنثور (3/73) .

3 () اصْطُلِم : استُؤصل .

[illegible]

[أسباب سعادة الإنسان وفلاحه]

لكن يبقي عليه أمران بهما تتم سعادتُه وفلاحه :

أحدهما : أن يعرف تفاصيل أسبابِ الشر والخير ،وتكون له بصيرةٌ في ذلك ؛ بما يشاهده في العالم ، وما جربه في نفسه وغيره ،وما سمعه من أخبار الأمم قديما وحديثا .

ومن أنفع ما في ذلك :

تدبر القرآن : فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه ،وفيه أسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة .

ثم الـسنـة : فإنها شقيقة القرآن ،وهي الوحي الثاني .

ومن صرف إليهما عنايته ؛اكتفى بهما من غيرهما ،وهما يريانك الخير والشر وأسبابهما حتى كأنك تعاين ذلك عيانا .

وبعد ذلك ؛ **إذا تأملت أخبار الأمم** وأيام الله في أهل طاعته وأهل معصيته ؛طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة ،ورأيته بتفاصيل ما أخبر الله به ووعد به ، وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على أن القرآن حق ،وأن الرسول حق ،وأن الله ينجز وعده لا محالة ؛ فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرَّفنا اللهُ ورسوله من الأسباب الكلية للخير والشر .

فصل

الأمر الثاني : أن يحذر مغالطة نفسه على هذه الأسباب .

وهذا من أهم الأمور فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولابد ، **ولكن تغالطه نفسه** بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة ، وبالتسويف بالتوبة تارة ، وبالاستغفار باللسان تارة ، وبفعل المندوبات تارة ، وبالعلم تارة ، وبالاحتجاج بالقدر تارة ، وبالاحتجاج بالأشباه والنظائر تارة ، وبالاقتداء بالأكابر تارة أخرى .

وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ، ثم قال : أستغفر الله ؛ زال أثر الذنب وراح هذا بهذا !!

وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص من الرجاء ، واتكل عليها ، وتعلق بها بكلتا يديه ،وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها ؛ سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء .

وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم :

وكَثِّرْ ما اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطايا إذا كانَ القُدُومُ على كريمِ

فتأمل هذا الموضع ،وتأمل شدة الحاجة إليه .

وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بأنه ملاق الله ، وأن الله يسمع كلامه ، ويرى مكانه ،ويعلم سره وعلانيته ، ولا يخفى عليه خافية من أمره؛ وأنه موقوف بين يديه ، ومسؤول عن كل ما عمل ؛ وهو مقيم على مساخطه ، مضيع لأوامره ، معطل لحقوقه ،وهو مع هذا يحسن الظن به !!

وهل هذا إلا من خدع النفوس ، وغرور الأماني ؟!!

وقد قال أبو أُمَامَةَ سَهْل بن حنيف : دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها ، فَقَالَتْ : لَوْ رَأَيْتُمَا رسول اللَّهِ [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

---

(١) أخرجه : أحمد (6/49-86-182) وقد صححه الألباني في السلسلة (3/12) .

فـصل

[شدة عقابه جل شأنه لمن اجترأ عليه بالمعاصي]

وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه ،وضيعوا أمره ونهيه ، ونسوا أنه شديد العقاب ،وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين .

ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند .

قال معروف : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق .

وقال بعض العلماء : من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم؛ لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا .

وسأل رجل الحسن فقال : يا أبا سعيد ! كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع ؟ فقال : والله ؛ لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا ، خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف .

وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ":

---

1 () أي : يدخل فيها إدخالة سريعة للحظات قليلة .

2 () أخرجه : مسلم (2807) .

[اغترار العبد بإنعام الله عليه وهو مقيم على معصيته]

وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا ، وأنه لا يغير ما به ، ويظن أن ذلك من محبة الله له ، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك ، وهذا من الغرور .

فعن عقبة بن عامر عن النبي

---

1 () أخرجه : مسلم (2002) .

2 () أخرجه : البخاري (1314) .

3 () أخرجه : البخاري ((4951) ومسلم (2108) .

4 () أخرجه : البخاري (2449) .

5 () أخرجه : البخاري (3265) ومسلم (2843) .

6 () أخرجه : أحمد (4/145) .وصححه الألباني في السلسلة (1/773) .

فصل

[الركون إلى الدنيا والاغترار بعاجل نعيمها]

وأعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها ، فآثرها علـى الآخـرة ، ورضـي بها من الآخرة :

حتى يقول بعض هؤلاء : الدنيا نقد ، والآخر نسيئة [2]، والنقد أنفع من النسيئة!

ويقول آخر منهم : لذات الدنيا متيقنة ،ولذات الآخرة مشـكوك فيهـا ، ولا أدع اليقين للشك ؟!

وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله !

والبهائم العجم أعقل من هؤلاء ؛ فإن البهيمة إذا خافت مضرة شيء ؛لم تقدم عليه؛ ولو ضُرِبت ،وهؤلاء يُقدم أحدهم على ما فيه عطبه ؛وهو بين مصدق ومكذب .

فهذا الضرب : **إن آمن أحدهم** بالله ورسوله ولقائه والجزاء ؛ فهو من أعظم الناس حسرة ؛ لأنه أقدم على علم ، **وإن لم يؤمن** بالله ورسوله؛ فأبعد له.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] () أخرجه : أحمد (1/387) قال الألباني في صحيح الأدب المفرد ص 119 : صحيح موقوف في حكم المرفوع .

[2] () أي : متأخرة .

[3] () أخرجه : مسلم (2858) .

[كيف يجتمع التفريط مع تيقن الحساب]

فإن قلت :كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل ؟ وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غداً إلى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشد عقوبة ، أو يكرمه أتم كرامة ، ويبيت ساهيا غافلا، لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ، ولا يستعد له ، ولا يأخذ له أهبته ؟ !

قيل : هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر هذا الخلق ؛ واجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء !

وهذا التخلف له عدة أسباب :

أحدها : ضعف العلم ، ونقصان اليقين .

فإذا اجتمع إلى ضعف العلم : عدم استحضاره ، أو غيبته عن القلب في كثير من أوقاته أو أكثرها لاشتغاله بما يضاده .

وانضم إلى ذلك : تقاضي الطبع ،وغلبات الهوى ، واستيلاء الشهوة ، وتسويل النفس، وغرور الشيطان ، واستبطاء الوعد ، وطول الأمل ، ورقدة الغفلة ،

وحب العاجلة، ورخص التأويل ، وإلف العوائد ، فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا .

وبهذا السبب يتفاوت الناس في الإيمان والأعمال، حتى ينتهي إلى أدنى مثقال ذرة في القلب .

وجماع هذه الأسباب :يرجع إلى ضعف البصيرة والصبر .

ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر واليقين ، وجعلهم أئمة في الدين ، فقال تعالى: [illegible].

فصل

[بين أماني المفرطين ورجاء الصحابة والصالحين]

ومما ينبغي أن يعلم : أن من رجا شيئا ؛ استلزم رجاؤه ثلاثة أمور :

أحدها : محبة ما يرجوه .

الثاني : خوفه من فواته .

الثالث :سعيه في تحصيله بحسب الإمكان .

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك ؛ فهو من باب الأماني ، **والرجاء شيء، والأماني شيء آخر .**

فكل راج خائف ، والسائر على الطريق إذا خاف ؛ أسرع السير مخافة الفوات. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :" [illegible][1] [illegible] "[2] .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible][3] .

[illegible]

[illegible]

[illegible][4] .

[illegible]

[illegible] .

1 () الإدلاج : السير في أول الليل ، وهو كناية عن الاهتمام والسعي في الأمر بجد .

2 () أخرجه : الترمذي (2450) وصححه الألباني في السلسلة (5/442) .

3 () أخرجه : الترمذي (3175) وقد صحح الألباني لشواهده في السلسلة (1/304) .

4 () في الزهد ص 135 .

*　　　*　　　*

[1] () الزهد لأحمد ص 149و 155 .
[2] () أخرجه : الترمذي (2308) .
[3] () أخرجه : أحمد في الزهد ص 160 .
[4] () أخرجه : أحمد في الزهد ص 162-163 .
[5] () أخرجه : أحمد في الزهد ص 227 .
[6] () أخرجه : أحمد في الزهد ص 230 .

فهرس الموضوعات

1 ـ مقدمة الكتاب
2 ـ بيان سبب تأليف الكتاب
3 ـ بيان أن الله لم ينـزل داء إلا وأنزل له دواء
4 ـ الدعاء من أنفع الأدوية
5 ـ استعجال الاستجابة يفوت أثر الدعاء
6 ـ متى يستجاب الدعاء ؟
7 ـ هل لمرض الشهوة علاج ؟
8 ـ علاج مرض الشهوة
9 ـ التدابير العملية الواقية من مرض الشهوة
10 ـ بين سلطان الشهوة وسلطان العقل والإيمان
11 ـ الطريق الأنفع للوصول إلى السعادة
12 ـ عشق الصور وأضراره
13 ـ عظم داء العشق وأقسام أصحابه
14 ـ علاج العشق
15 ـ مقامات العاشق ومراحل العشق
16 ـ ألوان الظلم التي يسببها العشق
17 ـ التدابير العملية التي تقي من الإصابة بداء العشق
18 ـ العشق بين المنافع والمضار
19 ـ أنواع المحبة .
20 ـ أعظم أنواع المحبة وأنفعها هي محبة الله تعالى
21 ـ نعيم القلب والروح تبع لكمال المحبوب وكمال المحبة
22 ـ أنواع لذات الدنيا
23 ـ بعض أنواع المحبة التي فيها منافع العشق ومزاياه
24 ـ لا تثريب في حب النساء إن كان بالوجه الشرعي
25 ـ أقسام عشق النساء
26 ـ بيان أن خبر : " من عشق فعف .." موضوع
27 ـ عظيم مفسدة اللواط وشدة فحشه
28 ـ بيان عقوبة اللوطي
29 ـ توبة اللوطي هل تقبل ؟
30 ـ حرمة الزنى
31 ـ عظيم مفسدة الزنى
32 ـ التشديد والتشنيع في حد الزنى وأسبابه
33 ـ آثار الذنوب والمعاصي
34 ـ آثار المعاصي على العبد في دينه ودنياه وآخرته
35 ـ العقوبات الشرعية موعظة لمن لم يتعظ بالقدرية
36 ـ سوء الخاتمة وخشية الصالحين منها
37 ـ ترتيب الله تعالى الخير والشر على أسباب

38 ـ أسباب سعادة الإنسان وفلاحه
39 ـ شدة عقابه جل شأنه لمن أجترئ عليه بالمعاصي
40 ـ اغترار العبد بإنعام الله عليه وهو مقيم على معصيته
41 ـ الركون إلى الدنيا والاغترار بعاجل نعيمها
42 ـ كيف يجتمع التفريط مع تيقن الحساب ؟
43 ـ بين أماني المفرطين ورجاء الصحابة والصالحين
44 ـ الفهرس